

النبات في التراث الشعبي الفلسطيني

مبارك الابتداء ميمون الانتهاء

مدخل معرفي

(علاقة هذا البحث بعلم الأنثروبولوجيا)

هذا العنوان أحد مباحث علم الأنثروبولوجيا وهو علم دراسة الطبيعة البشرية، أو علم الانسان ويقوم على أن البشر جميعا يشتركون بطبيعة اجتماعية واحدة جوهرية وأصيلة منذ الأزل والى الأبد، لكن كل مجتمع يزرع إلى أن تكون له خصوصية مميزة، وهو ما يعبر عنه اليوم بالهوية أو الثقافة....

الاهتمام بنباتات فلسطين

- تجد نباتات فلسطين مذكورة بكثرة في كتب الطب العربي القديمة ولاسيما داود الأنطاكي
- من شعراء فلسطين الكبار الذين أرخوا لنباتات فلسطين وتسمياتها واستخداماتها ابن زقاعة الغزي الخليلي المتوفى سنة 816 هـ وبعضها لا يعرف باسمه اليوم وربما انقرض

يا طابخين العصيدة دَمعي عليكم كَاللبن	والقلبُ مني مُقلا بالهَجْر كَالقلقاسُ
لما تَبَسُّوا البسيصة بالسَّمْن مع ذاك العَسَل	بالله أطمعوني لقيمة من إصبع البساس
من هجركم ذاب جسمي حتى عظامي مدققة	ولا بقي لي كوارع ولا بقي لي رأس
نجشتموا أضلاعي تحسبوها زلابية	وهكذا تقلوني ما أنتم إلا ناس
جفون عيني شرائح ومهجتي مثل الشوا	وهجركم كالنقائق طويل ما ينقاس
سلفتموني سلفةً بالبعد مثل اللوبيا	وإن كان ثمَّ توائل من قَرَبكم لا باس
وحب رُمان ملاً الزبادي والقصع	باللوز أضحى مُحترَّ أطيب من الريباس
عملتمو في رزي من هجركم فيه بصل	وتقلون المطبخ بالقفل والدرباس
رأني فشد المطبخ فقال إيش تعمل هنا	قلت لِلحَس الزبادي واسمي اللحاس
والرز الأصفر أحبه وأبصر فوقه كيب	فقال ما أنت لاحس بل أنت أبو حساس
عساكمو تبعثوا لي في كل جمعة جردقة	والإنحات الطاجن في قصعة الكناس
لو كان عندي قصعة فِدرة أو زيت أو ثوم الهوى	طبخت لي بازينة ورُحْتُ إلى مكناس

والله لو كنت فلفل أو كزبرة أو كراوية	ما قُلتُ في كل ساعة ألقوه في المهراس
وكل أكلى حريره وإلا نخالة ناعمة	هارب من الجوزية مالي لها أضرار
بالله لا ترموني إلا بواد المحبة	فإن عشقه عندي ما هو كعشق الناس
واد جرت أنهاره بين الأزاهر والشجر	وسبحت أطياره على غصون الاس
وكل أرضه صعتر والحدقون وأنجرة	والشيخ ثم الخزاما والسعد والبسباس
والعنطريز والغليا واللوف مع كف الأسد	والغار ثم الزوفا والبن والبرطاس
والبذاورد وغافت أشقرد وإكليل الملك	وزهر ما هي زهره في غصنها الميأس
قندول والقرصعنة والسالبية والشمر	مع اللسان وجمجم وذنه الشماس
في الحسن أصبح روضة وأمسي لقلبي مشتهى	عليه ينل دموعي يجري بلا مقياس
يا ناس لا تعذلوني حتى تقيسوا حالتي	فلاح في دير بجا أعزق بذاك الفاس
مكسور في ذي الفلاحة ولا بقي عند بقر	قامت على النيرة وما معي منساس
تقلعت أسناني من القراقيش والكبر	في الشمس ماشي حافي في رقبتي ذفاس
والله لو كنت ساعي وإلا حرامي قد هرب	ما كنت أقوم منغزة آبات في أرطاس
بالله يا شيخ محمد إن جاء الخليل تعرفه	قل له بقي فلاحك ميت من الإفلاس
واشفع وقل لأستاذي فلاحك إبراهيم انكسر	إن كان ترضى بحبس فلا تدري الناس
إن هو يعتقتي أقوم من دي الزاوية	أصلي الصبح فيها والعصر في ميماس
وأمشي على سور تيدا على محاريب التقا	وعسقلان والمشهد نعم وعجز راس
وبعد هذا أصلي على النبي المصطفى	ماحي الضلالات أحمد والكفر والأرجاس

الدراسات الأولى:

- كان من الأوائل الذين قاموا بدراسة حول نباتات بلاد الشام و العراق العالم راولف بين عامي 1573- 1575 ، وألف العالم غرنوفويس عام 1755م كتاباً سماه " نباتات الشرق ". كما قام عالم آخر هو بوست Post بنشر كتاب " نباتات سورية و فلسطين و سيناء عام 1896م . و دراسة إيبغ Eig عن النباتات الطبيعية في فلسطين عام 1941م ، و دراسة زوهاري عن الحياة النباتية في فلسطين 1962م .
- صندوق اكتشاف فلسطين ودوره في تمكين الحركة الصهيونية من خلال البحث الأحيائي

النبات والهوية:

1. النبات ابن المكان وابن تفاعل الإنسان مع الزمان والمكان



- تسمياتنا للنباتات المختلفة الشجرية والعشبية في أماكن وجودها كافة بتسميات محلية متعددة يؤكد قدم وجودنا وتفاعلنا مع هذه الجغرافية وطبيعتها
- لذلك يكون النبات بمثابة تأصيل وتأكيد لأصالة هذا الشعب وأقدميته.

2. الفنون التراثية المتعلقة به وضرب الأمثال به في تعاملاتنا وحياتنا ودخول مفرداته في غنائنا وأنماط عيشنا دليل على حيوية وجوده بيننا وأنه عظيم الأثر فينا

3. الاستخدامات المتعلقة بالنبات في الأكل والصناعات الغذائية المتوارثة (كثرة المطبوخات المتعلقة به - فنون التموين - الطب الشعبي - المهن المرتبطة به- القدرة على التمييز بين أنواعه) وقد ارتبطت كلها باقتصاد المجتمع المقاوم.

4. النباتات تؤشر للجذور وروح الانتماء من خلال المهن التقليدية القديمة ، وكثيراً ما تكون الأشجار المعمرة بمثابة الروح القديمة للفلسطيني الذي يمنحها روحه (الزيتون - السنديان - الجميز - التوت) ويكاد يموت الفلسطيني إذا سقطت شجرته ومات زرعه

5. تحت هذه الأشجار المعمرة يحكي الإنسان قصصه وحكاياته وأساطيره، ذاكرة الإنسان ترتبط بالطبيعة التي تشكل النباتات ألوانها ومحيطها وأصوات احتكاك أغصانها وأوراقها بالهواء ، ودخلت في إيقاع الغناء الشعبي.

6. هذه النباتات علامة قوة الشعب واستصلاحه الطبيعي للبقاء إذ لم يكن لهذا النبات أن يبقى إلا لأنه قوي قادر على البقاء

7. النبات مرتبط بالزراعة والصناعة والرعي والطب والنظام والوقود ... بالحياة.

8. النبات يرتبط بحياة الحيوان فهو مأوى الطيور والزواحف ومرعى الحيوان وأعلافها

9. النبات هو لون الطبيعة التي تتغير أمام الإنسان وتمنحه القدرة على التجدد

الاحتلال وحرب الهوية

الصراع على الأشجار والنبات بالرواية الفلسطينية هو صراع على الجذور لأجل ذلك غير المحتل اسم النبات وأعطاه أسماءه المحرفة عن لغتنا وعن لغات المجتمعات التي جاؤوا منها

1. أطلق الاحتلال اسم النبتة الفلسطينية "رتم" على "مركز معلومات النبات الإسرائيلي"، فيما قامت بتسمية "شجرة البلوط" "ألون"، و"الوف الفلسطيني" لوفيت أرض إسرائيل.
2. اختار الاحتلال زهرة برية فلسطينية شهيرة لتمثيلها في أولمبياد الصين، حيث تنافست كل من زهرتي "قرن الغزال = الزعمطوط = عصا الراعي = سكوكع" و"شقائق النعمان = الحنون" بعد أن وصلتا إلى التصفيات النهائية، في مسابقة شهدت إقبالا من جمهور المصوتين، لاختيار إحداهما. وتم في النهاية اختيار قرن الغزال مع شجرة الزيتون التي فازت بدورها، من بين عدة أشجار، لتمثيل كيان الاحتلال في "حديقة الورود" التي افتتحها الصين بمناسبة استضافتها للألعاب الأولمبية وبالتزامن معها.
3. جدار الفصل العنصري حرم النباتات من التكاثر الطبيعي عبر نقل البذور بواسطة الحيوانات والطيور والرياح وحصرها في مناطق محددة ، وكاد ينهي أسطورة سوسن فقوعة السودان مثلاً.
4. قطع الأشجار الرومية المعمرة التي تحكي قصصاً كثيرة عن الفلسطينيين وتؤكد انتماءهم لأرضهم

الزراعة في فلسطين مهنة أساسية ترتبط بكل المهن الأخرى فيها وتقوم عليها حياة الإنسان الفلسطيني في كل مواسمها الستة:

- الأول: موسم الحرث و زرع الحبوب: شهر تشرين الثاني.
- الثاني: موسم الأمطار: أشهر كوانين.
- الثالث: موسم حراثة الأرض المشجرة وزراعة الخضروات وتقليم الأشجار وحصاد القطني: أشهر (آذار، نيسان، أيار).
- الرابع: موسم حصاد القمح والشعير وتغطية العنب: حزيران وتموز.
- الخامس: موسم قطف العنب والتين: أشهر آب، أيلول.
- السادس: موسم الزيتون: أشهر تشارين.

مثال المواسم:

غني يا زهر الدحنون
وارقص يا خبز الطابون
طاح الشומר والزعتر
وودعنا سقعة كانون

فرحت عنزة جارتنا
لبست لاخضر قريتنا
من الخبيزة مونتنا
والبزيلا ام قرون

الفلاح اللي مكيف
مع انه الجو مصيف
بدو شهرين ونيف
وهو يوكل بقلة بليمون

من الصبح بدري يقوم
يحضّر لقنابة لكروم
بحمل ع ظهره القُدوم
ويكشكش نتش وطيون

بتطربني هالعصافير
تغرد قبل الشمس تنير
ع التوتة تهديّ وتطير
بلبل قَبْر وحسون

والا مقينات الشنار
في نيسان وفي آذار
والمداحي بالقنطار
باضت هون وواقّت هون

ميّل بزّر فول اخضر
وشوف الحنّون الاصفر
ولقّط خرفيش وز عتر
لملم واشوي حلزون

وان عطّشت في مية
مية مُكّر شتوية
وريحة الميرمية
اطيب ريحة بكل الكون

حضر لزراعة الصيف
خلي تراب الأرض خفيف

الكوسا والفكوس نظيف

وشمرّ رجل البنطلون

شو بدّي احكي تاحكي
قريتنا خير وبركة
الله يديملنا الضحكة
بارض الزعتر والزيتون

معلومات عامة:

- فلسطين متحف نباتي في بيئات مختلفة: السهلية والجبلية والصحراوية والأغوار والأودية
- على الرغم من صغر مساحة فلسطين ، إلا أنها غنية بالنباتات الطبيعية ، ففيها حوالي 2300 صنف من النباتات الطبيعية ، حيث يوجد 144 عائلة نباتية و 872 جنس و 2915 نوع من النباتات الطبيعية و التي سجلت في فلسطين حتى عام 1995م، يوجد في الضفة الغربية ما يقارب من 1595 نباتاً طبيعياً.
- الأزهار في فلسطين ذات موئل شرق أوسطي تزيد تصنيفاتها عن 3000 صنف تضم 128 عائلة نباتية، بينها 14 من السرخسيات و124 من النباتات الزهرية
- فوق المنحدرات الجبلية تنتشر نباتات دائمة الخضرة و نباتات نفضية متساقطة الأوراق مثل : السرو و السنديان و الصنوبر و العرعر و الحور و التنوب و الشيح و الزيتون البري . أما في السفوح السفلى للمرتفعات فتنتشر غابات الصنوبر الحلبي و الخروب و السدر و السرو و الكمكام.

النباتات الصناعية :

و هي نباتات تستخدم في الصناعة اليدوية و في العلاج الطبي و هي متنوعة مثل :

أ- النباتات الليفية و اللينية : و هي نباتات ليفية و ذات أغصان لينة تستخدم في الصناعة اليدوية ، مثل القصب و البوص و الصفصاف و الحلفا و غيرها .

ب-النباتات الزيتية : تستخدم بذور هذه النباتات في استخراج الزيوت النباتية المستخدمة في الأكلات الشعبية الفلسطينية المتنوعة مثل الجرجير و الشומר و غيرها

ج- نباتات الطنين : و من هذه النباتات البلوط و التي تشبه الكستنة التركية و تؤكل ثماره بالسلق أو الشوي ، و الصنوبر و السماق و البطم و القبقب .

د- نباتات الزيوت العطرية : هذه نباتات يستخدمها السكان في العلاج الطبي مثل المرمية و الزعتر و النعناع و الريحان و النرجس و غيرها و تعرضت هذه الأنواع للتناقص الشديد نتيجة زيادة استهلاك السكان لها .

هـ- النباتات الصبغية و الصابونية : تستخدم مجموعة من النباتات في صناعة الأصباغ فتعطي ألواناً مختلفة كالأزرق و البرتقالي و الأحمر ، حيث تستخدم جذورها في صناعة هذه الأصباغ ، و من النباتات شجرة النيل و التي تتواجد في منطقة البحر الميت و يستخرج منها اللون الأزرق ، و يستخدم نبات الفضي و الأشنان في صناعة الصابون .

و- النباتات الطبية : تعد فلسطين من الدول الغنية بالنباتات الطبية ، و يستخدم السكان المحليون أنواعاً مختلفة من النباتات في علاجهم " الطب العربي " و كانت تستخدم هذه النباتات لأغراض التجارة لبلاد الشام و مصر و العراق . و من النباتات الطبية في فلسطين : الخشخاش و الحرمل و الروتا و المصيص الحمم و الزعتر و الجعدة و القيصوم و الطيون و الشيح و كيس الراعي و البابونج و الكتيلة و البصيل و إبرة العجوز و حيلدان و غيرها .

تطبيقات :

1. شقائق النعمان (الحنون)

2. الزيتون

3. الخبيزة

4. الخروب

5. الننع

6. الزعتر

موفقون

د. أسامة الأشقر



نحو إبداع وتميز في تدريس القضية الفلسطينية

